

المحاضرة الأولى: مدخل إلى النقد العربي الحديث (إرهاصات النقد العربي الحديث 01)

أولاً- النقد العربي القديم: مرحلة التأسيس.

مرَّ النقد العربي القديم بمراحل عديدة وأمور مختلفة، وارتبط ظهوره بمكانة الشعراء منذ العصر الجاهلي، وقد كان النقد يتمثل في آراء عفوية موجزة، وفي أحكام ذاتية تأثرية غير مدعومة بتبرير منطقي وتحليل عقلي. وقد أورد هذه الآراء النقدية المختلفة ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة (طبقات فحول الشعراء - الحيوان - الشعر والشعراء)، ونلمس في هذه المؤلفات حساً نقدياً بارزاً، ومناهج أدبية مضبوطة نوعاً ما، إذ جمع أصحابها وبوبوا وفسروا وعلقوا ولا حظوا...

ونرى النقد العربي منذ القرن الرابع (04 هـ) قد وصل إلى أوجّه بفضل المعارك النقدية التي قامت حول شعراء معينين كالخصومات والموازنات لأبي تمام (البحثري والمنتبي)، إذ كانت هذه المؤلفات تخضع فيه لقواعد نقدية منطقية امتزج فيها التفكير والتدبر والجمع والتذوق ونذكر من المؤلفين في النقد قدامى بن جعفر عبر كتابه نقد الشعر، الذي تتجلى فيه نزعة نقدية تقوم على أساس التمييز بين الجيد والرديء، لكنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم البلاغة، ونلاحظ أيضاً تخطيطاً منطقياً وتصميماً هندسياً، يرجعان إلى تأثير قدامى بن جعفر بالمنطلق اليوناني وصناعة الكتابة وتقسيمه.

وينطلق الخط البياني للنقد العربي انطلاقاً باهراً، لنراه بعد ذلك ينحط ويهوى، إذ بات النقد في القرون الوسيطة ينحط إثر الحملات الصليبية وغيرها من الصراعات السياسية الداخلية والخارجية، لتأتي المرحلة الأخيرة أي عصر النهضة ليعيد روح النقد الغربي والعربي على وجه التحديد إلى مرحلة التطور الفكري والمنهجي والاصطلاحي.

ثانيا - عوامل وإرهاصات النقد العربي الحديث

لم يكن تطور النقد العربي الحديث نابعنا أو وليد نفسه، ولا نابعا من ثورة داخلية بقدر ما كان وليد الثقافة الغربية ومؤثراتها، في جميع الجوانب المنهجية والفلسفية والفكرية، ومن بين أهم تلك العوامل والإرهاصات التي تشكل منها النقد العربي الحديثة نجد:

01- النهضة الأوروبية: يطلق مصطلح النهضة في أوروبا بشكل أساسي على الفترة التاريخية التي تلت العصور الوسيطة، وتم إطلاق على تلك الفعالية الفكرية والثقافية التي جاءت نتاج نضال النخب في سبيل انتصار قيم العقل والحرية، والتقدم، وترسيخها ضد واقع الخرافة والاستبداد، وهذا هو مضمون فكر التنوير الذي ارتبط تاريخيا بقيام الرأسمالية، وقد أجمع عدد من الباحثين على اعتبار ظهور حركة تنويرية في الشرق العربي، وبعث الآداب العربية، وظهور الوعي القومي، ونشوء حركة الإصلاح الديني الإسلامي عبارة على نهضة عربية بدأت من القرن التاسع عشر ميلادي (19م) وكان ذلك بمثابة نتيجة للنهضة الأوروبية، ليصبح مفهوم الإصلاح المعبر الأول عن حدث التغيير في جميع الميادين.

02- الطباعة: إن فن الطباعة بالأحرف العربية لم يظهر بالشرق العربي والمسلم إلا بعد مرور قرينة و نطق على ظهورها في أوروبا. إن ظهور أربع مطابع في فترة نصف قرن يعتبر دليلا واضحا على وجود تحول جذري وبداية مرحلة جديدة فكرية وثقافية ونقدية سيؤدي فيها الكتاب والنقاد دورا بارزا في النهضة العربية.

وقد كانت استعارة فنون الطباعة من الغرب فرصة ثمينة للثقافة العربية مكنتهم من التحاور حول إمكانية تجديد ثقافتهم ومجتمعهم على مختلف الأصعدة، وقد ظهر في خضم هذا التجديد تياران هما: تقليدي محافظ و ثانيهما منفتح على الغرب ومجدد.

- كان التيار الأول يعارض مبدأ استعمال التقنيات الحديثة الواردة من الغرب باعتبارهم كفارا، لذلك ناهض هذا التيار فكرة الثقافة الغربية وتقنياتها، لأنها تحمل نظريات وآراء وعقائد غربية، هدفها غزو المجتمع الإسلامي.

- أما التيار الإصلاحى المجدد فقد كان أصحابه يعملون من أجل الدفاع عن المجتمع العربى من زاوية أخرى وبأسلوب مختلف، وذلك للتفكير فى الأسباب التى أدت إلى انحطاط هذا المجتمع، وتخليه عن دوره الحضارى والتاريخى الذى كان عليه.

03- الصحافة: لقد ارتبطت النقد العربى الحديث عضويا بالصحافة الأدبية وتأثر بقوالبها شكلا ومضمونا، فامتدت آفاقه بما دخله من أفكار غربية جديدة، فبعد أن كان المقياس الأدبى هو التقليد والخضوع التام للأساليب العربية القديمة، وأغراض المدح والهجاء صرنا شاهد خليطا من النزعات والنظريات المختلفة النابعة من المدارس الغربية.

04- الترجمة: لقد كانت الترجمة دعامة من دعائم النهضة الفكرية والثقافية للشعوب فيها بدأت النهضة الثقافية فى عصر الإسلام، والنهضة الأوروبية أيضا، وكذلك النهضة العربية المصرية الحديثة، حين أدرك رجل مصر الحديث "محمد علي باشا" ما لترجمة من أثر فعال وإحيائها، وذلك بنقل المعارف وترجمتها من الثقافة الأوروبية إلى اللغة العربية إذ أرسل ثلاثة بحوث علمية من بينها بعثة رفاعة الطهطاوي إلى باريس؛ حيث كان هذا الأخير المترجمين الكبار الذين أضفوا على النهضة العربية من أعمال الترجمة الأثر الكبير فى الجانب النقدي والإبداعي والعلمي عموما.

05- الاستشراق: لقد كانت حركة الاستشراق من عوامل النهضة العربية، حيث أدت فى بداياتها دورا أساسيا فى النظر إلى التراث العربى نظرة الغنى، والذي بدوره ساعد تيار الانفتاح والتجديد على إحياء هذا التراث، والنظر إليه نظرة جديدة، انطلاقا من النظريات والآراء والمدارس الغربية، غير أن هذا الاستشراق قد تغيرت أهدافه من نزعة الإحياء إلى نزعة الاستعمار والغزو الفكرى.